

القديس غريغوريوس بالاماس: أعجوبة الصلاة النوسية

الأرشمندريت ديونيسيوس كارايانيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الأحد الثاني من الصوم الكبير، تحتفل الكنيسة بذكرى مثال الإيمان والحياة، القديس غريغوريوس بالاماس، رئيس أساقفة تسالونيكي، والذي، بحسب الترانيم، هو المعلم العظيم للكنيسة وكاروز النور الإلهي.

يشمل تمييز جوهر الله عن قواه كل الأشياء التي يمكن أن يشاركها الله وتلك التي لا يشاركها. جوهر الله لا يدرك وغير معروف للخليقة، بما في ذلك الناس. ومع ذلك، يمكن للمرء أن يدخل في علاقة واتحاد مع الله من خلال قواه غير المخلوقة، والنعمة الممنوحة بسخاء.

من جهة التقديس والشركة، فإن القلب، وليس العقل، هو السبيل لأي شخص لكي يختبر النور غير المخلوق. يعطينا القديس غريغوريوس بالاماس مثال الشمس. بالنسبة للقديس، يُعرف الله نوعًا ما كما تُعرف الشمس. نرى نور الشمس ونستشعر حرارتها. وعلى الرغم من أننا قد لا نكون قادرين على الوقوف على سطح الشمس دون أن ندوب، أو أن ننصهر بجوهرها دون تفكك، إلا أنه يمكننا مع ذلك أن نختبر طاقتها. هكذا أشع وجه النبي موسى على جبل سيناء.

ومع ذلك، قد يتساءل المرء ما هي الفائدة التي تعود علينا اليوم من تعليم قديس هدوثي يركّز على الصلاة النوسية المعروفة باسم "صلاة القلب"، وهي ممارسة قديمة للرهبان والناس في القرن الرابع عشر؟ لماذا التمييز بين الجوهر والقوى عند الله عنصر أساسي في روحانيتنا الأرثوذكسية وعلاقتنا الشخصية مع الله؟ كثيرون منا ليسوا رهبانًا ونسّاكًا.

إنّ تعلّم طريقة صلاة الآباء القديسين النسكية يمنحنا إمكانية تذوق نور الله غير المخلوق. كما أنه يعطينا الخيرات الروحية الضرورية لنشترك في هذه الخبرة. لذلك، فهو ليس مجرد استبصار يشكل أساس الهدوئية. كما أنه ليس مجرد إعلان عقلي ذاتي داخلي فائق الإدراك، أي خبرة هدوئية وحسب.

نحن نشعر أن تعاليم القديس غريغوريوس بالاماس العميقة تلمس حدود الحضور الإلهي، عبر القدرات العقلية، في أعماق قلوبنا، حيث تعمل الصلاة من أجل الاتحاد بالله. صلاة النوسية التي سلّمها إلينا القديس غريغوريوس بالاماس ككنز روحي، ليست فقط لأولئك الذين يعيشون في الأديرة والصحارى، بل أيضًا للمؤمنين. هذه الصلاة تجعل النوس يلتقي في القلب. والقلب في التقليد الصحوي والهدوثي هو مركز الأخلاقي والروحي، وعرش نعمة الله ومكانها. هناك يلتقي الكائن البشري بالله ويلتقي الله

بالإنسان. في هذا الاجتماع تظهر الأفكار القذرة والرغبات الخاطئة، محاولةً أن تلوث قلوبنا وتقطع أواصر الشركة مع النور غير المخلوق.

لذلك نحن بحاجة إلى الصمت طريقةً خاصة تحميها من ويلات الشيطان ورغباتنا. بالتمييز بين الجوهر والقوى كشرط أساسي، تكون الصلاة النوسية النور في أرواحنا. إنها سلسلة تربط الإنسان بالله. هذان الأمران ليسا مفاهيم عقائدية أو مجردة أو بعض الآراء الفلسفية للقديس. لذا، في الأحد الثاني من الصوم الكبير، يذكّرنا الواعظ الكريم أن الله نور لا ظلمة فيه.

إن صلاتنا النوسية تساعدنا على تذوق هذه الحالة والخبرة الإلهيتين، فمن دونها يظل الله والنور غير المخلوق مجهولين وغير مرئيين ولا يمسا حياتنا اليومية. تمنحنا الكنيسة هذا النور والخبرة من خلال أسرارها، فتساعدنا الصلاة النوسية على أن نصبح أوعية لنعمة الله. آمين.

Source: <https://www.romfea.news/st-gregory-palamas-the-wonder-of-the-mental-prayer/>